

الإخوان بين محنتين

كتبه أحمد سمير | 3 سبتمبر، 2015



وقع الخلاف بين الصحابة بعد مقتل عثمان، واتسعت الهوة وتقاتل المسلمون وسالت الدماء وخربت الديار واتسع الخرق على الراقع، وامتدت هذه الحالة تفت في عضد الأمة وتوقف نهضتها وينحسر معها سلطانها، وتصبح البيئة الإسلامية خصبة كي يخترقها أصحاب الثارات والأطماع والأحقاد؛ فانتشروا في أرجائها ينفثون سمومهم ويفرقون بين أبنائها، ولم تنفك الغمة ولا تهدأ المشكلة إلا بعد سنوات من الاقتتال والتطاحن والتجمد الحضاري انتهت بعام الجماعة 41هـ، على يد الحسن بن علي رضي الله عنه.

بدلاً من أن تدرس الأمة بتأني هذه الحالة التي أثرت في وحدتها وفرقت شملها وضاع في أتون معاركها خيرة شبابها، ولكي تتجنب الأمة الانتكاسة التاريخية فتتكرر الأخطاء وتعود بنا مرة أخرى إلى مثل هذه الحالة الكارثية، ذهب كثير من علمائها الأفذاذ إلى رفع شعار هذه دماء طهر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا، وبدأت قواعد التدجين والسلبية وغض العقل وصناعة التبليد تضرب بجذورها في جنبات هذه الأمة للمرة الأولى بعد أن جاء القرآن مبيّناً وموضحاً وموجباً تتبع السير ومواصلة المسير للتفكير والنظر والتأمل في حال الأمم السابقة وحوادث التاريخ المتلاحقة “قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم” والتي نزلت في أكثر من 13 موضعاً، ولم يتستر القرآن على عرض ما قد يلتبس على العقل ويختلط في النفس، لا لشيء إلا ليصوغ عقل الأمة ناحية الإيجابية، ويكسر أصنام الانكفاء في العقل ويطهره من دنس الجمود والسلبية، فذكر القرآن ما حدث مع يوسف صراحة، وما حدث في الإفك صراحة، وعرض لنا أحوال الأمم السابقة، ليحرر الأمة

الثانية والتي استمرت طويلاً حتى عام 1974.

وثق الإخوان بعبدالناصر ووقفوا إلى جانبه وساعدوه في انقلابه وهيأوا الشعب لقبوله رغم المآخذ الواضحة التي استبانت لهم قبل هذه اللحظة الفاصلة:

1- أكد معروف الحضري في مذكراته وهو الضابط الإخواني الذي ساهم في إيصال المساعدات للجيش المصري المحاصر في الفلوجة في حرب فلسطين أنه كانت هناك مراسلات سرية بين عبدالناصر وبعض ضباط اليهود إبان حرب فلسطين عام 48.

2- اغتصب عبدالناصر تنظيم ضباط الإخوان داخل الجيش وانحرف به بعيداً عن نهجه، وخالف شروط إنشائه وحوله إلى تنظيم الضباط الأحرار دون أي معايير أخلاقية أو فكرية لمنتسبيه.

ورغم كل ذلك وثق الإخوان في عبدالناصر وساعدوه في تفريغ الساحة السياسية ووأد الحياة الحزبية بدافع فسادها وعمالتها، وأيضاً أعانوا العسكر على اغتصاب السلطة وصناعة الطاغوت في شخص عبدالناصر، وحينما أفاقوا من هول المفاجأة لم يلبث أن فتك بهم وأطبق عليهم وجعلهم في غيابات السجون، بعد أن فشلت الحكومة الائتلافية والتي كانت فرصة حقيقية للولوج إلى عالم السياسة وإدارة عملية تحول سياسي نحو الديمقراطية عقب انقلاب 52، ولكن ولأن الإخوان في هذه المرحلة كانوا غير متمرسين في إدارة الصراعات السياسية وغير أكفاء في التعاطي مع عمليات التفاوض السياسي، وأيضاً كانوا أميل إلى الصدام منه إلى الوئام خصوصاً بعدما ظهرت بوضوح طموحات العسكر الفاشية وعلى رأسهم عبدالناصر.

فضل الإخوان المسلمون أن يدخلوا المحنة من أوسع أبوابها وبدأوا يسطرون ويُنظرون لحالة فكرية جديدة تتماهى مع شروط وظروف المحنة التي اختاروها رغماً عنهم، وبدأت البطولات وحالة النشوة التي ينميها الإحساس بمصاحبة الحق والوقوف على عتبات التاريخ، والقارئ لكل الأدبيات والدراسات والكتب التي تتناول هذه الفترة التاريخية والتي تمثل منحناً عظيماً في تاريخ كل من الإخوان ومصر والعالم العربي والإسلامي يجد أن الصراع السياسي في مصر في الفترة بين عامي 1952 و1954 لم يكن صراعاً متكافئاً بل كان للأسف حالة من الانطباعية في إدارة الأزمات والصراعات رغم أنه يتوقف عليها تاريخ الأمم ومصير الشعوب.

أخطأ الإخوان المسلمون في محنة 1954 من عدة جوانب:

1- أنهم هم الذين ساهموا في صناعة ودعم انقلاب يوليو 52 ولكنهم فشلوا في السيطرة عليه أو حتى التعايش معه دون صدام.

2- لم يستطيع الإخوان المحافظة على كيانهم من الاختراق ونجح عبدالناصر في إحداث انشقاق في الصف الإخواني ولم يستطع الإخوان المحافظة على حالة التماسك أمام شخص يعرف التنظيم من الداخل كأحد أفرادهم، فاستقال الشيخ الباقوري من مكتب الإرشاد واختار أن يكون وزير الأوقاف رغم عدم موافقة الإخوان.

3- عدم النضج السياسي وانعدام جاهزية الكوادر البشرية للمشاركة في إدارة الدولة المصرية والفشل في إدارة عملية سياسية مع عسكر 52 بعقلية تعي معنى المصلحة وتفهم معنى التدرج في تحقيق الأهداف، وتجنيب العقلية الدعوية التي لا تقبل بحلول وسط ولا تسمح بالحلول التكتيكية أو التراجع للخلف خطوات من أجل التهيئة المستقبلية لتحقيق الأهداف وتحقيق المصالح، ولكن إما الهدى أو الضلال، الإيمان أو الكفر، العدل أو الظلم، النهار أو الليل؛ فكان ما كان وانطفأت شمس الدعوة الإسلامية في مصر رغم أنها أشرقت في أماكن أخرى فكان قدر الله.

4- اختيار حالة الصدام والسماح بحدوثها دون أن يحاولوا اقتناص المكاسب والحفاظ على الحد الأدنى من المصالح واختيار السجن والمساعدة بدون قصد في تفريغ المجتمعات من كافة صور المعارضة بعدما كانت الجماعة هي الصوت الأخير لها بعد إلغاء وحل الأحزاب وتجميد الحياة السياسية في مصر.

5- بدلاً من دراسة الأسباب التي أدت إلى محنة 54 ومحاولة تنفيذها ووضع الخطط لتخفيف حدتها وتلافي أثارها السلبية علي الجماعة وأفرادها بدأت حالة التقوقع والتحوصل والانكفاء حول الذات والتكيف مع المحنة والتنظير لها والتماهي في قبولها؛ فزادت العزلة الشعورية وارتفعت حالة التحليق في سماء المحنة بعيداً عن أرض الواقع، وعلى النقيض زادت هيمنة العسكر وضربوا بجذورهم في كافة مناحي الإدارة في الدولة المصرية واستحوذوا على الثروات والمقدرات وأصبحت الدولة غنيمة حرب اقتنصها العسكر باقتدار.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/8110/>